**الربيع العربي وانعكاساته على الفضاء العام السعودي**

**تساؤلات في الوعي السياسي لدى المتلقي السعودي**

**بقلم بدرية عبد العزيز عبد الرحمن العبيد**

**معيدة في قسم الإعلام –كلية الآداب- جامعة الملك سعود**

**دبلوم عالي من جامعة شرق لندن –تخصص صحافة ومجتمع**

**School of Media and Humanities- UEL**

**11-11-2011**

**الربيع العربي وانعكاساته على الفضاء العام السعودي**

**تساؤلات في الوعي السياسي لدى المتلقي السعودي**

**مدخل** :

يتسبب التساؤل عن الوعي السياسي في تداعيات وأسئلة كثيرة منها ما هو فلسفي يتساءل عن طبيعة الوعي، ومنها ما هو اجتماعي يتساءل في ذات الوعي نفسه، وفي كل الأحوال، فإن العقد الماضي وأحداثه أحدثت منعطفات هائلة في تفكير الفرد العربي عموما والسعودي على وجه الخصوص، ويمنح زحام هذه المنعطفات مساحة كبيرة للتساؤل عن إشكاليات تتعرض لها مفاهيم:

الوعي السياسي –الإعلام- الحقيقة الإعلامية- الفضاء العام .

حيث تبدو لنا أزمة الفكر العربي-السعودي عموما أزمة تعريفات.

كما تمنحنا هذه التحولات فرصة للتأمل في طبيعة تطور الوعي السياسي لدى الفرد العربي عموما ، وكيف تماهى هذا التطور مع تطور طبيعة الاتصال الشبكي، والانتقال من مرحلة ويب 1.0 إلى مرحلة ويب 2.0 ..

**سوف أنطلق في هذه المقالة من خلال عدد من الأسئلة /**

هل الوعي السياسي الانترنتي في السعودية معزول عن سياقه في الفضاء الحقيقي؟ ام العكس هو امتداد للسياق السياسي العام؟

هل العزلة السايبرية (في العالم الافتراضي) تعني حالة فصام عن الواقع؟ أم هي ناتجة من الواقع وإصراره على الفصام وتجاهل العالم الافتراضي؟

هل يمارس الوعي السياسي داخل الإعلام الجديد ريزومية (حالة بداوة وارتحال)؟ أم ينزع إلى اتخاذ شكل تقليدي يتفرع فيه الوعي من جذور ملموسة وقديمة؟

لابد أن أتطرق في هذه التساؤلات إلى السياقات التاريخية التي تشكل فيها الوعي، بالإضافة إلى السياقات التقنية التي عايشها المتلقي السعودي في العقد الماضي، وما أحدثته من نقلة (مفترضة) في الوعي السياسي، أو ربما لم تحدث أي شيء.

**وعي السعوديين السياسي في عصر الصحافة ، الثمانينات والتسعينات والعصر الذهبي للجهاد:**

أي قارئ للتاريخ السعودي يكاد يجزم بأن نقطة التحول الأكبر في المجتمع السعودي الحديث تكاد تكون حادثة الهجوم على الحرم المكي في بداية الألفية الهجرية الجديدة، وما بني عليه الهجوم من حشد نبوئي –عاطفي أسطوري، نقل النبوءة إلى مستوى الواقع ، ونقل المتلقي السعودي في بداية الثمانينات، إلى مستوى عيش النبوءة ورؤية الغيبي رأي العين. وما تلا تلك الحادثة هو ما يهمنا، وهو انبعاث المرجعيات الكامنة في الثقافة الإسلامية على حساب الثقافة السعودية التي كانت في تلك اللحظة في مرحلة حرجة من النشوء، سواء على مستوى التعليم والأكاديميا، أو على مستوى التغيير الاجتماعي والحراك السياسي الذي بلغ ذروته في عهد الملك فيصل رحمه الله (الخازم،2010)

عندما نستحضر تلك اللحظة بالذات ، وليس ما قبلها أو بعدها، فذلك لأننا نستحضر معها وسائل الإعلام التي سجلتها، والأحداث العالمية التي تزامنت معها ، وعلى الأخص ثورة الخميني وسقوط شاه إيران ونجاح الثورة الإسلامية الشيعية التي كان من المناسب أن تسمّى بثورة الكاسيتات (إدوارد سعيد، 1996) ، وما حصل في السعودية بعد حركة جهيمان العتيبي \_الذي قاد الهجوم على الحرم المكي\_ كان صعود خطاب إسلامي جديد وفريد من نوعه، ليس هو الخطاب الإخواني الذي انتشر في البلدان العربية بعد الحقبة الناصرية، ولا هو الخطاب السلفي التقليدي الذي تبنته الدولة السعودية منذ نشوئها. ما تكوّن لدينا في مرحلة الثمانينات كان خطابا حركيا ذا طابع ثوري شبابي، يستمد وجوده من النزعة الشبابية الجماهيرية، ويستقي مواضيعه من واقع الجهاد الأفغاني الذي استقطب شبيبة العالم الإسلامي من المنتمين للحركات الإسلامية. ويعتمد في انتشاره على قنوات أرخص سعرا وأقل نخبوية، بل وأسهل إنتاجا حين يستلزم الأمر، وبهذه الصفات أعني : شريط الكاسيت، والمنشور.

من المهم أن نشير إلى أن الخطاب الصحوي في وقته عانى من إشكاليات داخلية تعود إلى أسباب ديموغرافية – فكرية في مجملها، فأحداث حماة في بداية الثمانينات وما تلاها من نزوح ناشطي الإخوان المسلمين إلى المملكة العربية السعودية، جلب إشكالاته الفكرية الحركية معه، كما ألقى بظلاله العاطفية على وجوده في المنفى، لتظهر هذه السمات مجتمعة على الخطاب الصحوي السعودي ، سواء على مستوى اللغة أو مستوى الموضوع، بل وحتى على مستوى الصحافة. وعندما حصل الصدام الحتمي بين ما هو علمي-أصولي وَبين ما هو حركي –سياسي في حقل الحركة الإسلامية ، انتهى ذلك الوضع إلى تشكّل تيارات فكرية داخل التيار الصحوي واضحة المعالم بشكل أو بآخر. (المشوح، 2011)

لم تكن الإمكانات الصحفية التي توفّر عليها الخطاب الصحوي في الثمانينات ترقى إلى مستوى الاحترافية \_إلا عندما نستنثني تجربة مجلتي العصر والمجتمع الكويتية\_ لكن قلة الاحترافية تلك هي التي جلبت الانتشار للتيار الصحوي، وجلبت مواضيعه وسمات خطابه إلى المجتمع لتتحدث بلغته، وتنطق عن قضاياه ، وتخبره بشراكته ومسؤوليته في تكوين الفضاء العام. وهذه هي السمة التي افتقدتها الوسائط الرسمية من الصحيفة إلى التلفزيون إلى الإذاعة، إذ استمر غياب المتلقي عن تشكيل بصمته في المادة الإعلامية إلى وقت متأخر من نهاية التسعينات.

إن وجود وتوفّر مادة معرفية –خبرية في متناول اليد، تستخدم لغة شبابية عاطفية مختلفة تماما عن اللغة السلفية وَ اللغة الإعلامية النخبوية، بالإضافة إلى أنها تمتح وجودها من نفس الخلفية الثقافية التي يعتز بها المجتمع السعودي وهي (الإسلام) وتستمد مواضيعها من المجتمع نفسه، وتعالج قضاياه الأكثر دقة والأكثر إغراقا في التفاصيل، كل هذه العوامل جعلت الخطاب الصحوي يصعد بسرعة هائلة ويتحول من موجة لا يعار لها انتباه إلى واحد من أهم الخطابات المهيمنة على المجتمع السعودي في الثمانينات والتسعينات.

وأقول الخطابات(المهيمنة)، لأن الخطاب الصحوي وإن كان يستمد مواضيعه من اهتمامات المتلقي العامة العادية اليومية، ويصل إليه مباشرة عبر الشريط والنشرة وعبر الدرس المدرسي والخطبة في المسجد، إلا أن المتلقي في ذلك الوقت لم يغادر موقعه في المسرح كمتلقي، ولم يساهم بأي طريقة في تكوين المحتوى، ولم يكن له دور سوى التلقي والترداد والنشر (وتبليغ الكلمة) .

وهي السمة التي تأتي من طبيعة النشر الكاسيتي، فالمادة الصوتية في الكاسيت تنسخ بطرائق بدائية وتوزع مجانا، وأحيانا يتمكن الشخص من الحصول على نسخة رديئة الجودة بمسجله المنزلي العادي، وهو الأمر الذي ينطبق على الخطاب الصحوي وطريقة انتشاره ومستوى جودته. بالإضافة إلى اللازمات الصوتية -النفسية التي ترافق الصوت المنسوخ ، حيث لم يعد سرا أن الكل في مرحلة الثمانينات ، أصبح يتحدث بصوت واحد، وفي بعض الأحيان، بنغمة تشبه أو تطابق نغمة المتحدث في الشريط.

على أن كل هذا كان بالنسبة للمتلقي السعودي في مرحلة الثمانينات يعتبر نقلة هائلة في مستوى الوعي السياسي، فالوعي السياسي والاجتماعي وأي تدخل في تشكيل الفضاء العام لم يكن متاحا للكل قبل الثمانينات، ولم يكن متاحا للفرد أن يتحول إلى رسول لنشر الكلمة قبل مرحلة الصحوة، ولم يكن متاحا للفرد أن يكون جزءا من اللوحة التي يديرها النخبة، قبل مرحلة الصحوة.

فالمتلقي في تلك المرحلة أتيح له أن يتحول إلى (نسخة) من شريط الكاسيت، وكان هذا بحد ذاته نقلة في مستوى مشاركة الفرد في الفضاء العام.

والفضاء العام بمفهومه الهايبرماسي لم يكن متشكل الملامح في المجتمع السعودي رغم ان أقدم جريدة صدرت في المملكة تعود إلى بدايات العشرينات الميلادية، ولكن الفضاء العام السعودي لم يكن ليتشكّل بصورة مثالية أو حتى قريب منها عندما نأخذ بعين الاعتبار أن عدد المتعلمين والقادرين على قراءة الجريدة وفهم ما يذاع في الراديو، فضلا عن المشاركة في تشكيل الرأي، كان قليلا بشكل ملحوظ.

**حرب الخليج الثانية ونقطة التحول الجديدة:**

جاءت حرب الخليج الثانية لتحدث النقلة الأعنف في تاريخ المجتمع السعودي، في تاريخ حركة الصحوة، وفي تاريخ المتلقي السعودي. فالجيل الذي كان يعاصر حرب لبنان ومن ثم حرب العراق وإيران وحادثة العدوان في الحرم المكي عام 1987 ومن ثم صعود اللغة الطائفية-العقدية في تحليل الأحداث ، أصبح هذا المتلقي وجها لوجه أمام الحرب، رأي العين، وأصبح تحليله السياسي- ذو اللغة الطائفية العقدية الصرفة- غير قادر على استيعاب الكارثة التي تهددت حياته المباشرة وحياة عائلته. بالإضافة إلى إن الإعلام التقليدي الحكومي لم يكن كافيا لتبديد حيرته وخيبة أمله ، والفوضى النفسية التي أحدثتها مشاهد العدوان العراقي على الكويت. والشحن النفسي الكبير ضد العدوان العراقي والذي أدارته الوسائط التقليدية المتاحة ، كل هذا أحدث فجوة معرفية-إخبارية كبيرة في المتلقي السعودي أمام الأحداث، وكان أن خلقت هذه الفجوة مجالات كبيرة وكثيرة لظهور تحليلات مستبعدة كنظرية المؤامرة والحزب الثالث، مثلما وجد الخطاب الصحوي في تلك الفجوة المعرفية فرصة نادرة لا تتكرر للصعود وإثبات الوجود.

إن حالة الفوضى واللغط المترتبة على حالة الغياب (الفجوة الإخبارية) تركت مجالا واسعا لأشكال متعددة من قوالب نشر الوعي (الشائعة-النكتة-القصيدة – المثل السائر) لتأخذ دورها في صناعة الوعي لدى المتلقي وسد الفجوة. وجاءت أحداث صغيرة لتحدث هزّات اجتماعية أثارت رعب المجتمع السعودي الذي كان في لحظتها يواجه رعب الحرب المنظّمة التي يواجهها لأول مرة ، من ضمنها مظاهرة السيدات المطالبات بالسماح للنساء بقيادة السيارات عام 1990 .

كانت مواجهة المجتمع للمظاهرة النسوية وتسميتها بـ(الفتنة) هي أول ورقة تناولها الخطاب الصحوي واستخدمها لتسلّم دفة قيادة الوعي الاجتماعي في المملكة منذ تلك اللحظة. لأن الخطاب الصحوي في تلك اللحظة وظّف الرعب الاجتماعي من حالة الفتنة مستخدما أدواتٍ المجتمع نفسه (لغته\_مخاوفه\_إيماناته) . وأمكن للخطاب الصحوي أن يشكّل في المخيلة الجمعية للسعوديين تيارا آخرا تصدر منه الفتنة ويتحدى السائد ويتحدى الدين وإرادة المجتمع، وكان من سوء حظ ذلك التيار أنه يتحدث بلغة نخبوية متعالية (سميت في وقتها بالحداثية) ويملك أسباب الوصول إلى الوسائط الرسمية، وبالتالي، أصبحت الوسائط الرسمية منذ تلك اللحظة ملكا للتيار المتخيّل في المخيلة الصحوية، وأصبح الصحوي يتقمص دور اليساري / المهمّش/ الضحية/ والذي ينتج وعيا جمعيا يشبه إلى حد كبير ما نسميه الآن بـ(الإعلام البديل- الحقيقة الصحفية البديلة) .

**المرأة –التغيير، مجتمع التسعينات:**

رغم كل التغييرات التي ازدحمت بها فترة حرب الخليج، إلا أن أبرز قضيتين اعتمد عليهما التيار الصحوي (الذي شكّل الفضاء العام لتلك الحقبة) كانتا قضية الوجود الأمريكي في الجزيرة العربية، وهو الأمر الذي ترتب عليه تكوين منظمة القاعدة . (المشوّح، 2011)

والقضية الثانية هي قضية قيادة المرأة للسيارة، وهي المطالبة التي أصبحت بسببها المرأة السعودية أكبر موضوع دارت عليه إنتاجات الفضاء العام في فترة الصحوة. وربما لا نملك إحصاءات دقيقة توضح لنا نسبة النشرات والكتيبات والكتب والأشرطة التي أصدرت لمناقشة مواضيع تتعلق بالمرأة السعودية في مقابل مواضيع أخرى اجتماعية لم تجد الاهتمام المماثل. ولكن يمكننا تخيل حجم هذه الاحصاءات واستحضارها لمن عاش في تلك الفترة وعاصر كثافة المادة المعرفية التي اتخذت من موضوع المرأة محورا لها. وهو الأمر الذي تنامى وتفاقم إلى نتائج وخيمة على مستوى حقوق المرأة وتطور مسيرتها في المجالات التنموية.

إن التغيير الذي تجلبه الحرب هو أمر غير مرحب به، وأن يطال هذا التغيير الموضوع الأكثر حساسية في الوعي الاجتماعي (المرأة ) هو أمر فوق المعقول. ولذلك استيقظت في الخطاب الصحوي في تلك المرحلة عناصر ثقافية كامنة كان يفترض أن يكون المجتمع قد بدأ في تجاوزها (مثل النزعة الذكورية) واستمرت تلك النزعة لتكون مصدر حياة وانتشارية الخطاب الصحوي، ليس فقط بسبب أنها تعزف على الوتر الأكثر حساسية في الذات السعودية، بل لأنها شكّلت حزمة متماسكة ومتصلة من التصورات والرؤى حول موضوع المرأة والتغيير الاجتماعي. وذلك بسبب كثرة الإثراء والحشو الخطابي الأفقي بالصور المتخيلة، والربط بالخلفية الثقافية بتأويلات قد لاتكون واقعية أكثر الأحيان.

(المحمود، 2011 ) .

**القاعدة ، اللاعب الجديد، والحادي عشر من سبتمبر 2001:**

الجديد الذي أتت به التسعينات زيادة على ماكان في الثمانينات من صعود النبرة الجهادية واشتراك كثير من الشبيبة السعوديين في الحرب في أفغانستان، كان الجديد هو تشكل تنظيم القاعدة بشكل رسمي عام 1992 ، وإعلانه الجهاد على الوجود الأمريكي في العالم كله وعلى رأسه، الوجود في الخليج العربي.

وهذا الموضوع الشائك ألقى بظلاله على الفضاء العام السعودي، وتسبب في اضطرابه بلا ريب، فالمجتمع السعودي شهد عصر الثمانينات الجهادي، وأرسل أبناءه لمعسكرات التدريب في أفغانستان مطمئنا ومستندا إلى خطاب ديني يدعم هذا الفعل بالفتوى والتبرير والتغطية الإعلامية التي تكفّل بها الخطاب الصحوي. ولكن الشيء الذي لم يستوعبه المجتمع هو تشكّل تنظيم تصطدم رؤاه مع رؤية الحكومة السعودية التي تعتبر الأكثر سلفية وإسلامية في العالم كله، زيادة على أنها تصطدم مع رؤى هيئة كبار العلماء بخصوص الوجود الأمريكي في الخليج. كل هذا جعل المتلقي السعودي يبحث عن حزب ثالث أو رؤية ثالثة ليستمد منها الموقف الأكثر مقاربة بخصوص رؤى تنظيم القاعدة. وكان أن انتصرت القاعدة فكريا في بداية التسعينات، ليس فقط على مستوى التأصيل الأكثر تطرفا وخطورة، بل حتى على مستوى الإمساس بالتابوهات وما لم تتناوله الوسائط الإعلامية الرسمية، كما نجح على مستوى الوصول إلى وعي المتلقي السعودي وتشكيكه في الحقيقة الإعلامية التي يتلقاها على الوسائط الرسمية، والتي يديرها وحسب الخطاب الصحوي (العلمانيون أعداء الدين). (المشوح، 2011)

وعند تلك النقطة، استخدمت القاعدة السلاح الفكري الأكثر صرامة في تحديد المواقف السياسية والوعي السياسي : التكفير.

نحن الآن مازلنا في بداية التسعينات، وهنا يمكننا أن نلمس كيف أمكن للخطاب القاعدي (الذي اتخذ من الصحوة بيئة خصبة لتنمية وترويج أفكاره) أن يجذب انتشاريته مرة أخرى عبر احترام المتلقي السعودي، وعبر مخاطبته بأدبياته ولغته التي يحبها ويفهمها، وعبر إشراكه في الهم الأممي، البديل عن الهم الوطني الذي كان محتكرا من قبل النخبة.

فاللغة الجريئة التي تحدثها القاعديون كانت لغة حربية، صدامية، تكفيرية حاسمة ، وشبابية، وكانت ذكوريتها مرة ، وقبائليتها مرة ، وطائفيتها مرة أخرى ، تستمد من العناصر الثقافية الموجودة سلفا في عقل المتلقي السعودي، وهو الأمر الذي أوجد قبولا كبيرا لاحدود له، بالإضافة إلى الفراغ الذي تركته وسائط الإعلام الرسمية وعدم قدرتها على مجاراة اللغة الشبابية الحداثية التي اعتنقها القاعديون. ووصل الأمر إلى عدم الثقة بالوسائط السعودية في منتصف التسعينات، وإلى أن أصبحت منتهية الصلاحية ولا معنى لها. في الوقت الذي اكتسبت الموجة التكفيرية قبول المجتمع الشبابي بطرقها المبتكرة، وتداولها الخفي عبر التهريب \_الشبيه بتداول وتهريب مناشير اليساريين الثوريين في بدايات القرن العشرين\_ وهو ما وسّع دائرة إقبال المتلقين لدرجة النهم والفضول.

كل هذه الخصائص (الشبابية-الإمساس بالعناصر الثقافية الموجودة في الفكر الاجتماعي السعودي- اللغة الصدامية الحسمية العدمية) جعل محللين كثيرين يتوقفون عند القاعدة وعند جوهرها الذي يبدو ظاهريا وكأنه أكثر أصولية-سلفية، بينما تنطوي وسائل انتشاره وترويجه على حداثة لا يمكن تجاهلها، فالقاعدة لم تمارس الحداثة على مستوى التكنيك التنظيمي فحسب، بل إنها كانت أسبق في توظيف واستخدام كل التقنيات الاتصالية الحديثة من أجل ترويج خطاباتها وأدبياتها حتى من كثير من الحكومات الأكثر تطورا في العالم. (Gray, 2003 )

وعندما ضربت الطائرتان برجي التجارة العالمية في 11-9-2001، لم تكن القاعدة تلعب بشكل عشوائي، فمشهد سقوط البرجين الرمزي والدلالات الكبيرة التي حملتها صورة الهجوم الإرهابي على قلب العولمة ، كلها تدل على نضج واعٍ أو لا واعٍ في لعبة تنظيم القاعدة، (Budriar, 2001).

وكانت الدلالات الضخمة التي حملها الحدث الذي لم يستغرق أكثر من ساعتين كافية لأن تجعل الوعي السياسي في عقل المتلقي السعودي في حالة تشنج وعجز عن استيعاب الحدث، ودخلت في تأويل الحدث نظريات كثيرة سيطرت على الوعي السياسي السعودي، مما يجعل حالة الفوضى والارتباك تلك أيضا نصرا خطابيا من انتصارات القاعدة.

**نهاية التسعينات الميلادية ونشوء الإنترنت العربية والإنترنت السعودية:**

استغرق الأمر وقتا غير قصير لتصبح الشبكة العالمية في متناول العرب ، وكان ارتفاع سعر الخدمة أول سبب في ندرة مستخدميها في مرحلة التسعينات، وحين نؤرخ لدخول الإنترنت إلى المملكة العربية السعودية تحديدا فإننا لا نذهب أبعد من عام 1994 حينما سمح للمؤسسات التعليمية والبحثية بالحصول على الخدمة، ومن ثم دخلت خدمة الإنترنت بموجب قرار وزاري عام 1997 لتصبح في متناول المتلقين عام 1999 إذا استقصينا غاية الاستقصاء. إلا أن ارتفاع سعر الخدمة وقلة المحتوى في نهاية التسعينات وبداية الألفية مقارنة بالوقت الحالي لم يمنع عدد مستخدمي الإنترنت السعوديين من التزايد بشكل متسارع من 200 ألف مستخدم في العام 2000 إلى 2.54 مليون عام 2005، بل إن الخطاب الاجتماعي –الديني الذي ألقى على الإنترنت ظلال الشك كالعادة لم يفلح في ثني المستخدمين عن التزايد وتشكيل وعيهم على الشبكة. (إنترنت السعودية، 2011)

كان نشاط الفكر القاعدي قد وصل إلى ذروته في تلك المرحلة عبر تكوين المواقع والشبكات الأكثر نشاطا في تاريخ الإنترنت السعودية (الساحات العربية التابعة لشبكة فارس نت، وموقع سحاب الذي تطور فيما بعد ليصبح شبكة السحاب السلفية). (المشوّح، 2011)

**ويب 1.0 ، ولادة اليوزر وظهور العزلة السايبرية:**

تزامن نضج مرحلة الويب 1.0 مع حادثة الحادي عشر من سبتمبر ، وهي النقطة التي انعطفت عندها الإنترنت العربية عموما والإنترنت السعودية خصوصا منعطفها الأكبر. فقد وظّفت شبكة الإنترنت من قبل الجهات التي تقود وتنظم الخطابات السياسية المختلفة في السعودية، وذلك بغرض الوصول إلى أكبر قاعدة من المتلقين السعوديين، وهو ما جعل لوحة الوعي السياسي لحظة الحادي عشر من سبتمبر أشبه بمفهوم (الفوضى الخلاّقة Creative Chaos ) .

ربما تكون أهم معالم مرحلة الويب 1.0 (2001 - 2005) هي / المنتديات – اليوزر – الهوتميل –مواقع الرفع والتحميل المجانية- والبالتوك (رغم إن البالتوك مازال يستخدم الآن ولكن ليس كما كان عليه في ويب 1.0). (Calcutt, 2007)

بالإضافة إلى المواقع الرسمية، ولكن هذا المحتوى لم يكن ثريا بالشكل الكافي الذي يمكن أن يتشكل منه وعي سياسي منظم، بالإضافة إلى عزلة هذا المحتوى عن الفضاء العام الذي كانت تديره –وإلى تلك المرحلة- وسائط الإعلام التقليدية الرسمية.

وبالنظر إلى ما تمنحه طبيعة العالم الافتراضي من إمكانية التخلص من رواسب الهوية والارتباطات المتعلقة بها ، سواء تكن تلك الهوية عرقية أو دينية أو جنسية، كان من السهل أن تتشكل ثقافية سايبرية ذات سمات خاصة تتناول فيه موضوعات لا تتداول عادة في الوسائط المتاحة، وبسبب عنف وفوضوية العالم الافتراضي في بداية تشكّله، كان من السهل أن نلحظ مع مرور الوقت تكوّن (عزلة) أو (وحشة) ما بين اليوزر ومابين المحتوى الذي ينشره، وما بين اليوزر ومابين الواقع المعاش الذي مازال يبدو امتدادا للوعي السياسي في مرحلة الثمانينات والتسعينات. (Calcutt, 1999)

كما كان من السهل والمفهوم أن يستخدم اليوزر اللغة العنيفة الفوضوية في أثناء تشكّل وعيه السياسي-الثقافي، فالمجتمع في تلك اللحظة كان يدين الإنترنت واليوزر بصفته مصدرا مجهولا للنص أو للحقيقة، وفي نفس الوقت، كان اليوزر هو أحد أفراد المجتمع ، إن لم يكن كل أفراد المجتمع يوزرا بطريقة أو بأخرى.

شكّلت منتديات الساحات (التابعة لشبكة فارس نت) أبرز معالم مرحلة الويب 1.0 ، حيث أسست عام 1998 تابعة لشبكة فارس نت، والسبب في ذلك أن عضوية الساحات كانت تعني الوصول لأكبر قاعدة مستخدمين في الخليج ، وبالتحديد، أكبر قاعدة مستخدمين ينتمون لآيديولوجيا معينة تظهر عليها وتجمعها ملامح اجتماعية مشتركة كالنزعة المناطقية المحافظة والقبائلية والذكورية. ونظرا لما كانت يعنيه امتلاك اسم مستخدم في الساحات ، فقد كان اسم المستخدم يباع في تلك الفترة بمبالغ قد لا تقل عن ألفي ريال.

وفي مقابل الساحات التي وجدت فيها (حركة القاعدة) بيئة خصبة لترويج خطاباتها ووعيها السياسي الذي يستمد أدواته من نفس الخطاب السياسي التكفيري السائد في التسعينات، ولدت في مقابلها منتديات تبنت رؤى ذات جذور محلية ، منها ما هو قبائلي ومنها ما هو ثقافي وطني مثل منتديات جسد الثقافة التي أسسها الإعلامي السعودي تركي الدخيل عام 2001.

**ما هو الشيء الجديد في ويب 1.0 :**

يمكن للمراقب أن يلحظ تطور اللغة الحوارية ومستوى الوعي السياسي لدى اليوزر في فترة زمنية قصيرة، والفضل في هذا التطور يعود إلى خاصية التفاعلية التي ولدت في مرحلة ويب 1.0 ، وتطورت في المراحل التقنية التي تلتها . باستثناء أن المنتديات تمنح اليوزر الحرية في إثراء المحتوى (خاصية اللامحدودية) بالإضافة إلى عدم تقيد اليوزر بسؤالات الهوية الشخصية والانتماءات ، مما يجعل علاقة المحتوى بالمؤلف غير مهمة، ومما يجعل المتلقي –القارئ أكثر حرية في تأويل المحتوى وأكثر قدرة على إدارة وعيه بناء على المحتوى.

ظهرت في مرحلة الويب 1.0 ظاهرة الريزومية\*، وهي الظاهرة التي يصبح بها الوعي الجمعي السياسي أكثر قدرة على توليد نفسه أفقيا وباستخدام نفس أدواته، فاليوزر لم يعد مهما (رغم شهرة يوزرات ذات إنتاج جيد في تلك المرحلة) ولا حتى المحتوى، بل كان الأهم في تلك المرحلة هو (الخطاب) . فالخطاب ورغم كونه يستمد جذوره من نفس العناصر الفكرية الثقافية التي وجدت في التسعينات، إلا أن معالم جديدة وتغييرات بدأت في الظهور على خطابات العالم الافتراضي، وذلك بسبب كثافة حضور اليوزر وغزارة الإنتاج، أي أن الخطاب أصبح يولد نفسه بنفسه بصورة مختلفة مرة وبصورة متشابهة مرة، وبطرق تتراوح بين التقليدية إلى المبتكرة، وظهرت أشكال جديدة من الصراع الفكري وطرق أخرى للمناورات بين الخطابات الأكثر وضوحا أكثر من الحوار المباشر والمناظرات التي لم تعد تعني القارئ كثيرا.

ظهرت اللغة الساخرة (Satire) والكوميديا السوداء كطريقة مبتكرة وجديدة لإدارة الصراع بين الخطابات التي كانت تسيطر على الفضاء العام. وقد ارتبطت حقبة المنتديات بظهور لغة جديدة ذات مصطلحات مبتكرة هي التي كانت تستخدم بين التيارات في العالم الافتراضي.

بقي أن نذكّر أن هناك عاملين إحداهما أثر بشكل سلبي على نمو ويب 1.0 ، والآخر بشكل إيجابي..

أما العامل ذو الأثر السلبي فهو صعوبة إرفاق وتحميل الصورة والملف الصوتي وملفات الفيديو مع القصة الصحفية أو مع الموضوع ، ناهيك عن بطء مستوى الاتصال في تلك المرحلة، حيث كانت خدمة الإنترنت في السعودية معتمدة على الاتصال بالخط الهاتفي الأرضي (دايل أب)، ولم تتح إنترنت أكثر سرعة وأرخص للمستخدم السعودي إلا في بداية 2004، حيث كانت مرحلة ويب 1.0 في نهايتها.

أما العامل ذو الأثر الإيجابي في نمو بيئة ويب 1.0 فهو جدّة وكثافة عملية التفاعلية والتي أدت بصورة ملحوظة إلى تقارب وتلاقح ملحوظ بين اليوزرات موضوعا ولغة، كما إن الخطاب السياسي في تلك المرحلة أصبح يتشكل وينضج ويأخذ معالمه بشكل واضح ليصل إلى مرحلة التماسك.

كان هناك إثراء للمحتوى يحصل في موقع البالتوك، حيث أوجدت كثير من التيارات الاجتماعية لنفسها مكانا من أجل مزيد من الإثراء والنمو داخل التيارات نفسها.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**\* الريزومية/ الريزوم**: مصطلح اقترحه الناقدان جيل دولوز وفيليكس غواتاري معبّرين به عن رفضهما للكتابة الكلاسيكية الشجرية التي يتفرع فيها النص من الكاتب عبر موضوع واحد كالشجرة المتماسكة، بينما الريزوم الكتابي هو حالة توليد متسلسلة للنص والمعنى عبر مواضيع غير محدودة وفي اتجاهات غير محددة، وليس بالضرورة أن تخرج من مؤلف واحد، وقد استوحى هذا المصطلح من طريقة تكاثر محاصيل الظل مثل البطاطس، التي يكفي فيها زرع برعم يحتوي على خلية واحدة من المحصول لتتكاثر وتنمو. للاستزادة انظر كتاب / ألف هضبة، للمؤلفين دولوز وغواتاري.

**ويب 2.0 ومرحلة النضج ، المدوّنة وأخواتها:**

كانت ولادة فكرة التدوين قديمة إلى حد ما، بل ربما أقدم من الإنترنت نفسها، حيث كانت خاصية إتاحة النشر وإدارته بيد الأفراد أو المجموعات الصغيرة متاحة في منتصف الثمانينات وإلى بداية التسعينات، وإلى اللحظة التي ولدت فيها الشبكة العالمية في بداية التسعينات كانت المدوّنات \_كمفهوم للنشر\_ موجودة بشكل محدود حتى اللحظة التي اشترت فيها غوغل فكرة المدوّنة وأتاحتها مجانا لملايين المستخدمين حول العالم من بداية 2002 (ويكبيديا، 2011) ومنذ تلك اللحظة يمكننا أن نقول أن مرحلة ويب 2.0 قد بدأت. وأن أهم وأول معالمها كانت / المدوّنة.

كفكرة، لم تبد المدوّنة أكثر من ملاذ آمن للكاتب المستقل، ولكنها فيما بعد أصبحت مصدرا للنشر المستقل والتغطية الإخبارية المنفردة، وحصل ذلك حينما ولد اليوتوب ولقي انتشاره الواسع بفكرة التحميل الفوري والسريع والمجاني، وهنا، أصبحت المدوّنة تقوم بدور الصحفي البديل، بالاستعانة بالأدلة المرئية والمسموعة التي تمنحها وسائل التسجيل الخفيفة المتاحة لكل الأفراد (كاميرات الجوال هي أهمها) ، ويمكن أن يقال أن تلك المرحلة شهدت ولادة مفاهيم ثورية في عالم الصحافة مثل مفهوم (الصحافة الجديدة) و(الإعلام البديل) بما تعنيه هذه المفاهيم من أبعاد تمس التكنيك الصحفي أو تمس التوجه السياسي للوسيط .

ورغم أن المدوّنة لم تبد في البداية مختلفة عن فكرة الموقع الشخصي ولم تنافس المواقع الإخبارية المحترفة في تنظيمها وطريقة نشرها، لكنها ورغم ذلك وجدت انتشارا هائلا لدى المتلقي حول العالم لعدة أسباب/

* مجّانية الخدمة، حيث أتيح إنشاء وإدارة المدوّنة من قبل مواقع كبرى تأتي غوغل ووورد برس على رأسها.
* سهولة إدارة المدوّنة وإنشائها.
* نضج تجربة اليوزر، حيث وجدت الكثير من اليوزرات في نفسها القدرة على الإنتاج الكثيف الناضج على خط واضح. وهذا واضح جدا في تجربة التدوين العربي عموما، والمصري والخليجي خصوصا.
* الاستقلالية الفكرية التي يعنيها وجود المدوّنة (المكان الآمن أو الحصن الحصين للكاتب)، وبالتالي أصبح من غير النادر أن توجد مدوّنات تتناول من التابوهات ما لا تسمح المنتديات بتناوله أو نقاشه. وربما كان هذا هو أبرز سبب حيث كان المدوِّن ولا زال مظنّة قول ما لايقال ونشر ما لا تنشره الصحف والوسائط الرسمية. (مثل قصة التحرش الجماعي الذي حصل بعد صلاة عيد الفطر في القاهرة وتكتّمت عليه وسائل الإعلام). كما أوقعت هذه الجرأة كثيرا من المدوّنين رهن مساءلة السلطات والاعتقال حول العالم. وحجبت كثير من المدوّنات الخارجة عن بيت الطاعة في كثير من الدول.
* حقوق الملكية الفكرية، حيث لجأ كثير من الكتّاب والكاتبات إلى المدوّنة لحفظ حقوقهم الفكرية في مواضيعهم وإنتاجاتهم خصوصا الأدبي والمقالي منها، وهو الأمر الذي جعل كثيرا من المدوّنين يعتمد مدوّنته كمصدر رسمي لمقالاته أو إنتاجاته.

وفي فترة مبكرة من عمر التجربة التدوينية السعودية، أطلق الفيسبوك عام 2004 ، ولم يستغرق الأمر طويلا حتى تعرّف الفيسبوك على مستخدم الإنترنت السعودي ، وبعدها بسنة واحدة عام 2005 أطلق يوتيوب، وبعدها بسنة قادمة عام 2006 أطلق التويتر. لتصبح تلك القفزات النوعية في عالم الشبكة العالمية ثلاث علامات بارزة على الحقبة الاتصالية التالية من ويب ، وهي ويب 2.0.

أظهرت ويب 2.0 نضج اليوزر السعودي وقدرته على إدارة الفضاء العام على الأقل في العالم الافتراضي، أي أنه في تلك الحقبة أصبحت التيارات الفكرية التي تدير الفضاء العام السعودي أكثر وضوحا للمتلقي قبل الكاتب. كما أنه وقد أصبحت فكرة الشبكية والتواصلية الاجتماعية هي محور تلك الحقبة (بعكس عزلة ويب 1.0 وانفصالها الواضح عن المجتمع) ، وهذه السمة في ويب 2.0 جعلت اليوزر يخرج بوجهه إلى المجتمع، ويفرض تجربته العميقة التي بناها في عزلته الافتراضية على المجتمع الواقعي الحقيقي.

اليوزر في ويب2.0 يخرج بوجهه وصورته واسمه الذي قد يكون حقيقيا، كما ويتواصل بشكل مستمر ومتدفق مع العالم الحقيقي ، وهذه الكثافة في الحضور جعلت العالم الواقعي ينزل إلى ويب 2.0 بدلا من أن تصعد هي إليه.

في هذه المرحلة كانت الصحافة الإلكترونية قد بلغت أشدّها واتخذت كثير من المطبوعات والوسائط المرئية والمسموعة وجودا واضحا لها على الشبكة ، ووظفت معطيات ويب 2.0 لتحقيق أهدافها المؤسسية. لكن دخول المؤسسة الرسمية إلى العالم الافتراضي لم يخلع عنها صفة الرسمية، ولم يقلل من شأن الصحافة الجديدة (تكنيكا ومحتوى) في عقل المتلقّي.

فالمتلقي السعودي مازال لا يثق بوسائطه الإعلامية الرسمية ولا يعتبر أنها وصلت للحد الكافي من الشفافية الذي يجعله يعتبرها المصدر الأكثر جودة للحقيقة الصحفية.

الشيء الجديد الذي تزامن مع فترة ويب 2.0 هو ولادة تيار صحفي داخل الإنترنت السعودية نفسها، أي أنه في وقت مبكر من عمر ويب 2.0 وجدنا أنفسنا في مواجهة صحف تحرر وتنشر داخل الإنترنت نفسها ، وتطلق على نفسها مسمى الصحيفة الإلكترونية، ولا مكان لها خارج الإنترنت.

وإلقاء نظرة على الصحف الإلكترونية الأكثر انتشارا في عالم الإنترنت السعودية (سبق\_الوئام\_راصد\_صوت الإخدود\_صوت المرأة السعودية\_لجينيات\_موقع نور الإسلام) يمكنه أن يمنحنا انطباعا عما آل إليه الوعي السياسي لدى المتلقي السعودي.

فكل واحدة من هذه الصحف تنتهج تكنيكا صحفيا في إدارة المحتوى يغلب عليه الانحياز لأفكار المؤسسين للصحيفة والقائمين عليها، فنرى لغة صحوية واضحة في سبق، ولغة قبلية واضحة في الوئام، ولغة مظلومية الطائفة واضحة في راصد ، وهكذا.

وقد أثرت هذه الانحيازية على صياغة الحقيقة الصحفية في أمثلة عدة ، من ضمنها القصة الجنائية التي سميت بقصة فتاة القطيف عام 2007، التي أجريتُ عليها دراسة قضية في وقتها وخلصتُ إلى نتيجة أن القصة رويت بتفاصيل في صحيفة إلكترونية تتناقض تماما مع روايتها في صحيفة أخرى تماما، وكيف أن الاتجاه الأيديولوجي للصحف الإلكترونية أثر على صياغة القصة بدرجة لا تختلف عن الانحيازية التي نراها في الوسائط الإعلامية الرسمية The Mainstream Mediums في قصص مشابهة. وهو الأمر الذي اختلفت فيه الصحف الإلكترونية عن الصحف الرسمية المطبوعة التي بدت أكثر حيادا وموضوعية في إدارة محتوى القصة، ناهيك عن الالتزام بالتكنيك الصحفي والاحترافية التي انعدمت تقريبا في الصحف الإلكترونية، حيث اختلط ما هو وجهة نظر Opinion بما هو قصة صحفية News story – وما هو تحليل محتوى Content Analysis بما هو حقائق وأدلّة Facts and Evidences داخل سياق القصة. (Alobaid,2007)

كما يتراوح أداء ونشاط هذه الصحف بين التحديث اليومي للأخبار على مدار الساعة وتجديد المحتوى (جريدة سبق- الوئام- راصد بالدرجة الأولى) إلى مجرد الأرشفة وجمع المواد المتعلقة بسياسة الصحيفة مثل (صوت الأخدود – لجينيات- صوت المرأة السعودية). وهو الأمر الذي يمنحنا الانطباع بأن العمل الصحفي في الإنترنت السعودية أصبح ينزع إلى الانحياز الأيديولوجي أكثر منه الإثراء المعرفي والبقاء على قيد التحديث الإعلامي.

**ويب 2.0 وسيلة لامتداد الوعي السياسي السابق:**

إذا كان المتلقي السعودي في تلك المرحلة قد وصل إلى مرحلة من انعدام الثقة بينه وبين الوسيط الرسمي، فإنه قد وجد البديل ماثلا أمامه في الصحيفة الإلكترونية التي بدت أكثر إثراءً وأكثر اقترابا من معتقدات المتلقي وإيماناته السياسية والاجتماعية. لذلك بدأت كثير من هذه الوسائط الإلكترونية ترفع شعار الصحافة البديلة وقدراتها الأكثر على الاقتراب من الحدث وصياغة الخبر بطريقة ولغة منتزع من إيمان القارىء نفسه.

فصحيفة راصد الإلكترونية التي تصدر في القطيف، تظهر فيها القصة بطريقة تعزز من إيمان الطائفة بالمظلومية الاجتماعية والإقصاء، بينما تنزع صحيفة سبق إلى صياغة القصص بطريقة تعزز من الإيمان الاجتماعي بوجود خطر أمني وأخلاقي يتهدد المجتمع من مصادر متآمرة. والأمر ذاته ينطبق على بقية الصحف الإلكترونية السعودية.

والتأثير الأيديولوجي –السياسي للداعم أو للممول ليس بدعا في الصحيفة الإلكترونية، بل هو الأصل في عمل الوسائط المملوكة لرجال أعمال أو حكومات حول العالم، ولكن الجديد في الصحيفة الإلكترونية السعودية هو كونها ترفع شعار (الصحافة البديلة) تكنيكا ومحتوى، اعتمادا على كونها تنشر ما يريد المتلقي أن يراه ويسمعه، أو ما يعرفه المتلقي سلفا ولا يريد أن يعتقد عكسه. وهو الأمر المعتاد في عالم الوعي السياسي الموجّه Manipulated Media سوى أن التوجيه الآيديولوجي وجد مكانه مرة أخرى في عالم الصحافة الإلكترونية، وهو ما يعني عودة الوعي السياسي للمتلقي السعودي إلى المربع الأول الذي ينتمي إلى حقبة الثمانينات والتسعينات.

**الفضاء العام السعودي لويب 2.0 خارج الصحيفة الإلكترونية:**

لا يمكن تعميم أنموذج الصحيفة الإلكترونية وعجزها عن تطوير فضاء عام للمتلقي السعودي ونقله من خانة الوعي المؤدلج الموجّه عقديا ورسميا على كافة المحتوى الإلكتروني السعودي، فتتبع تاريخ هذا المحتوى في مرحلة ويب 2.0 يثبت ظهور جهود فردية قوية (على مستوى المدوّنة ومقطع اليوتيوب وبوست الفيسبوك والتغريدة والهاشتاق) لخلق تقليد صحفي جديد يشارك المتلقي في عدم ثقته بالمصدر الرسمي، ويمنحه بديلا بطريقة مزودة باللغة الناضجة المقنعة والأدلة المرئية والمسموعة. وهو الأمر الذي كوّن فضاءً عاماّ أكثر نظاما وأكثر وضوحا في معالمه ومعتقداته السياسية.

وسبب نضوج هذا الفضاء العام هو كثافة المحتوى وسرعة تطوّره على مدار الساعة ، بالإضافة إلى فورية نشره بطريقة غير نخبوية (عدم الاحتياج إلى الرقابة أو التحرير) وفورية وصوله عبر التقنيات الاتصالية التي ولدت بعد 2006 (الهواتف المزودة بخصائص الوصول للإنترنت- عائلة أبل وتطبيقاتها المتعددة)، بالإضافة إلى دور التنبيهات بالتحديثات على البريد الإلكتروني، وهو ما جعل الفضاء العام يأتي إلى المستخدم السعودي في عقر داره (جهازه الشخصي) بدلا من أن يذهب المستخدم إلى الفضاء العام الواقعي (بيت الشاي أو المقهى أو الاستراحة أو الديوانية أو المجالس العشائرية الخ الخ ) وهو ما زاد من ثراء الفضاء العام من جهة، ومن ثراء الوعي السياسي لدى المتلقي السعودي من جهة أخرى.

**موت النخبوية:**

إن أبرز ما أحدثته الإنترنت السعودية بامتداد تاريخها ومنذ دخولها في تشكيل الفضاء العام السعودي هو موت النخبوية ، وقدرة المتلقي السعودي على فرض وجوده في الفضاء العام الذي كان وإلى وقت قريب جدا حكرا على النخبة المتعلّمة أو القريبة من صانع القرار أو صانعة القرار نفسها. وأيا يكن مستوى تعليم المتلقي السعودي ، فإن أي شخص قادر على استخدام الحاسب الآلي والقراءة فيه أصبح قادرا على إضافة وجهة نظره وقول ما يريد أن يقول، وقراءة ما يرغب أن يقرأه . وبذلك لم تمت النخبوية فحسب، بل ماتت اللغة العسرة التي كانت تستخدمها على الوسائط الرسمية. وولدت بدلا منها لغة شبابية قريبة إلى عقل المتلقي الذي أصبح وبفضل الإنترنت السعودية جزءا حتميا من تشكيل وإدارة الفضاء العام . والأمر الملحوظ أكثر من ذلك هو أن الهوة المعروفة بين الفئات العمرية والطبقات المتعلمة وغير المتعلمة والفروقات الجنسية والعرقية والقبلية والطائفية أصبحت أقل بشكل ملحوظ، وأصبحت الشبكات الاجتماعية المتاحة للكل تجمع القديم بالجديد، وتشكل صداقات تجمع بين الفئات التي كانت تعاني قطيعة ضرورية اجتماعية في فضاء افتراضي يشارك الكل فيه إما بهويته الحقيقية أو متجردا منها بكامل إرادته (الرجال والنساء أبرز مثال). وهو الأمر الذي يشكل تفكيكا لكل البنيات الكلاسيكية التي فرضتها الضرورة الاجتماعية سابقا. وبالتأكيد ، فتفكك هذه البنيات الكلاسيكية يعني بالضرورة تشكل وعي عام مختلف بشكل كبير عن الوعي الذي شكلته السياقات الاجتماعية والسياسية القديمة.

**ويب 2.0 والنقلة التي أحدثها في الوعي السياسي العربي**

من المهم جدا أن نعرّج على الظروف التي أحدثت النقلة في الوعي السياسي العربي عموما والسعودي خصوصا، إذ إن تلك النقلة لم تكن لتحصل بمعزل عن الواقع الاقتصادي الذي جاءت به سياسات السوق الحرة والشركات متعددة الجنسيات ووجودها العالمي ودورها الكبير في تغذية الاقتصاد العالمي بالمنتجات الجديدة والرخيصة ، وبالمقابل خلق فرص عمل لأكبر عدد من العاملين والعاملات، هذا بدوره لم يمنع من تآكل الطبقة الوسطى بالتدريج من جهة، وازدياد نسب الفقر والبطالة في الدول العالمثالثية ومن ضمنها دول العالم العربي. في هذا الواقع الاقتصادي باختصار وفي مرحلة ويب 2.0 بالتحديد أصبحت الإنترنت متاحة لكثير من المستخدمين في العالم العربي ومن كافة الطبقات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية بالإضافة إلى كافة الفئات العمرية.

تزامنت ولادة الإنترنت العربية وتدفق المحتويات العربية مع زمن السوق الحرة وصراعاته المتعددة على المستويات الاقتصادية والأخلاقية بالإضافة إلى تذبذب مستويات التنمية بين النمو والانحدار، والشيء الذي لا مراء فيه هو كون ولادة الإنترنت العربية قد تزامنت مع الثورة الاتصالية وإتاحة وسائطها للمستخدم العربي. وإذا كانت قصة يوتيوب قد بدأت بإتاحة رفع الملفات المسجلة والشخصية وإتاحتها مجانا للمتلقين، فإن وجود الصحفي العربي في يوتيوب كان مصطبغا بكل سياقاته وخصائصه الثقافية ، ولم يستغرق الأمر طويلا حتى أصبحت صحافة اليوتيوب تعني حرفيا صحافة المواطن في كثير من البلدان العربية وعلى رأسها مصر. والأمر في السعودية قد يبدو مختلفا قليلا ، بل ربما لم تكن للصحفي السعودي سابقة في اعتبار يوتيوب قناة صحفية معتبرة حتى الوقت الذي نشرت فيه مقاطع صادمة لقيت انتشارا كبيرا وغضبا اجتماعيا كبيرا، وهو الأمر الذي أصبح فيه اليوتيوب يعلن عن نفسه في المجتمع السعودي كصحفي بديل تستبدل فيه الصورة والمقطع بالخبر المصوغ بطريقة احترافية.

وفيما يتعلق بالربيع العربي، فما فعله الإعلام الجديد بالعرب هو خلق علاقة ديناميكية بين الناس في موقع الحدث والثورة وبين القنوات الرسمية لحظة بلحظة، وهو الأمر الذي جعل وضاح خنفر \_المدير السابق لشبكة الجزيرة\_ يصف هذه الصورة بأنها (نمط جديد في تقديم الخدمات الإعلامية دون أن يكون للمال فيها دور) ، إذ حين اندلعت الثورات، كانت أدوات الوعي الجديد تقوم بدورها في تغذية وسائل الإعلام الرسمية من قبل المتفرجين والمتظاهرين وعبر أدواتهم البسيطة في هواتفهم النقالة وحاسباتهم المتنقلة وصفحاتهم ومدوناتهم، أي أنهم كانوا يقدمون خدمة للصحفيين والقنوات ، فهم يعطونها ما تبثه وتنشره، والقناة تقوم بنقل صوتهم وغضبهم على شاشتها للعالم. وبهذا أصبح كلا الطرفين مستفيدا من هذه الوحدة بين الإعلام الجديد والإعلام المؤسسي والإعلام المنظمي بشكل مثير للإعجاب. (Khanfar, 2011)

**العيال كبرت:**

اندلاع الربيع العربي قد يكون قد بدأ واضحا طريا وسخيا ورومانسيا في العالم العربي، إلا أن امتداده في العالم الغربي (شغب لندن وَ حركة احتلال وول ستريت وَ أخيرا تظاهرات روسيا ضد بوتين) كانت كلها ضخمة، كبيرة، شبابية وسريعة، تنتظم داخل العالم الافتراضي ومن ثم تترجم بشكل فعلي في العالم الواقعي، وهو عكس ما كانت عليه الحال الاجتماعية في عصر ويب 1.0، حيث كان اليوزر يختفي من العالم الواقعي ويأتي بأدواته ويخلق بها عالمه الافتراضي.

وقد بهرت هذه الثنائية في تبادل القوى كل المحللين الإعلاميين خلال 2011، فالسؤال الذي طرحته بي بي سي في إحدى تقاريرها نهاية 2011: هل حقا تغيرت موازين القوى؟ وهل أصبحت القوى \_فعليا\_ بأيدي الجماهير؟

لقد كانت الطفرة الاستهلاكية التي أصبح بها كل مواطن عالمي مستهلكا من الدرجة الأولى وسيلة لاستعباد المستهلك من قبل مالك رأس المال (او صاحب الشركة) وهي السمة التي أثارت ذعر باحثين اجتماعيين مثل هربرت شيلر في كتابه (الإنسان ذو البعد الواحد) إذ تنبأ أنه وبفعل الطفرة الاستهلاكية العنيفة التي أغرق بها المواطن العالمي (وفي حالته كان يتحدث عن الإنسان الأمريكي بالدرجة الأولى) فإن المواطن لن يكون قادرا على أن يكون أفضل من مستهلك، وسيفقد كل معالمه وخصائصه الاجتماعية إلى درجة التحول إلى آلة\_ رعيّة\_ عبد للثقافة الاستهلاكية التي تجار نخاستها هم مالكو الشركات متعددة الجنسيات والمتحكمون في السوق .

لكن ما حصل كان مفاجئا جدا لكل التحليلات الاجتماعية التي أسرفت في التشاؤم بشأن النزعة الاستهلاكية، ومؤكدا على الطبيعة الإنسانية في الإنسان ستظل هي الأقوى والأقدر على البقاء ، وذلك أن التكنولوجيا التي وفرها ويسرها رأس المال وأتاحها لكل مواطن عالمي، أصبحت هي السلاح الذي يرفعه المواطن العالمي في وجه القوى غير العادلة، والتي من ضمنها الشركات متعددة الجنسيات.

وهكذا تكون الرأسمالية مرة أخرى وعلى كلام بودريار، قد صنعت موتها بيدها، وقد منحت الدمى التي كانت ترغب في السيطرة عليها، خيوطها التي تحركها بها، وانقلب سحر الرأسمالية على ساحره، بفضل ويب 2.0 وأدوات صناعة الوعي الجديد.

**ثورة الياسمين والمتلقي السعودي السلفي:**

يغلب أن توجد في ذهن المتلقي عن مجتمع ما عدد كبير من التصورات الملخصة التي تشكل تنميطا (أو ستيريوتايب) للمجتمع. ينطبق هذا الأمر على المتلقي السعودي وصورة المجتمع التونسي في ذهنه. فالخطاب الصحوي كان قد رسم صورة متماسكة عن المجتمع التونسي وعلمانيته الكلاسيكية، ولذلك لم تكن ديكتاتورية النظام التونسي القديم إلا ناتجة من حالة عداء للدين والتدين والمجتمع، الأمر الذي تشرّبه المتلقي السعودي وتركزت بموجبه صور متكررة لفرض نزع الحجاب ومنع المصلين من الصلوات وغيرها من الصور التي التصقت بالنظام الديكتاتوري التونسي. ولذلك حين اندلعت ثورة الياسمين في تونس ، افترض المتلقي السعودي أن الصورة المكثفة للحكومة المعادية للدين هي ما سبب الثورة في المقام الأول، بالإضافة إلى الأسباب الأخرى التي تتعلق بالاقتصاد والحالة التنموية لتونس.

وهو الأمر الذي يجعلنا نفترض أن المتلقي السعودي بتعدد خلفياته وتوجهاته يقرأ الثورة التونسية من خلال سياقه (هو):

\_فالمتلقي المتأثر بالخطاب الصحوي قرأ الثورة على أنها ثورة الدين المقموع على الواقع العلماني القارس الذي يمارس إقصاء الدين من الحياة العامة وبقوة العسكر.

\_بينما ينظر المتلقي ذو الرؤية التي توصف بالليبرالية على أنها ثورة شعب مقموع من أجل الحريات الأساسية المسلوبة ومن ضمنها حرية ممارسة الشعائر الدينية.

راقب المتلقي السعودي انتقال الثورة من تونس إلى مصر ومن ثم بداية المظاهرات في ليبيا، وكانت صورة المشهد الثوري أكثر وضوحا في شاشة قناة الجزيرة وهي تنقل وبشكل مباشر مشاعر المتظاهرين ومطالبهم التي لم تكن تعبّر بالضرورة عما يدور في خلد المتلقي السعودي ومخاوفه تجاه ثورة تونس.

فالمتلقي السعودي المدفوع بالآيديولوجيا يفترض سيناريوهات مابعد الثورة وفقا للقصص التاريخية المشابهة لعصر مابعد الثورات، فالسيناريو المعروف والذي تكرر كثيرا في التاريخ الحديث هو سيناريو إيران مابعد الثورة (تحول الاستبداد إلى شكل ديني متمدن)، أو جزائر ما بعد الثورة (محاربة التغيير باسم الانقاذ من التطرف الديني ونفوذ العسكر). ورغم وجود سيناريو بديل متمثل في سيناريو ألمانيا الشرقية بعد سقوط الجدار وانفتاحها على النظام الديمقراطي السائد في أغلب أصقاع العالم ،(الحداد، 2011) إلا أن المتلقي السعودي لا يمكن أن يتخلص من سياقه الذي يفهم به السياسة وهو يقرأ الربيع العربي.

ولذلك أثارت تصريحات الشيخ الغنوشي بعد فوزه بالانتخابات بأنه سوف يحافظ على علمانية تونس غضب كثير من المتلقين السعودين ذوي الاتجاه الصحوي أو المتدين، بل عبر كثير منهم خيبة أمله في قنواتهم الخاصة على ويب 2.0 . بينما لم يتحرج كثير من الكتاب المحسوبين على التيار الليبرالي من إبداء مخاوفهم من الربيع العربي (الثورة المصرية) وكونه سيكون معبرا سهلا إلى السلطة للجماعات المتطرفة أو الإسلامية ، وقد رصد الكاتب السعودي فهد الحازمي في مقالته (من جنبها: سعوديون يتحدثون عن الثورة المصرية) عددا من الاقتباسات عن كتاب مقالة سعوديين يتحدثون بذعر واضح من خطر استفادة الحركات الإسلامية من هامش الحرية الذي يمكن أن تحدثه الثورة. (الحازمي، 2011)

عبّر كثير من المتلقين السعوديين الصحويين عن نظرتهم للثورة التونسية (والربيع العربي فيما بعد) على أنها كانت ثورة مسلمين مقموعين ممنوعين من ممارسة دينهم، وأكثر منه عبر كثير منهم عن أنها كانت ثورة مسلمين راغبين في تطبيق الشريعة بنموذجها السلفي التام (النموذج السعودي) ، وهو الأمر الذي علق عليه عبد الله المالكي أحد الحقوقيين السعوديين بقوله : "في كلمة واحدة.. خرجت الشعوب لأجل سيادتها! نعم لـ(سيادتها) وليس لشيء آخر، وليس لدافع أيديولوجي سواء كان عقائدي ديني أو فلسفي وضعي. ولكي نكون أكثر وضوحا: لم تخرج الشعوب لأجل تطبيق الشريعة مع شرف هذا المطلب وأحقيته للمجتمعات الإسلامية بلا شك، ولكن الشعوب لم ترفع هذا الشعار خلال مظاهراتها واحتجاجاتها، لم تخرج لأجل إحياء منهج أهل السنة والجماعة كما يظن البعض، أو لأجل نصرة مذهب السلف، لم تخرج لأجل محاربة المنكرات السلوكية، أو لكي تحطم المزارات والأضرحة، لم تخرج لأجل تطبيق المصارف الإسلامية أو لأجل السماح بالتعدد في الزواج أو لأجل فرض النقاب أو الحجاب أو منع الخمور والمراقص الليلية. لم تخرج الشعوب لأجل هذه المطالب. وإنما خرجت لكي تسترد سيادتها على أوطانها أولا، ولكي تكون هي المصدر الوحيد للسلطة وللشرعية وليس الفرد المتغلب ولا الحزب الحاكم الأوحد. لا يعني أن الأمة ضد هويتها الإسلامية ومرجعيتها الشرعية. بل نحن نعتقد بأن الشعوب هي أكثر أصالة ومحافظة لهويتها ولقيمها من أنظمتها الفاسدة البائدة، ولكن لم يكن هذا هو الدافع في خروجها وثورتها وإسقاطها لأنظمتها. إذن استعادة (السيادة) على الأوطان هو الذي أخرج الشعوب العربية الثائرة ودفعها لبذل الدماء والتضحيات الجسيمة." (المالكي، 2011)

**التنويريون السعوديون أو إسلاميو ويب2.0 :**

لا يستطيع المتلقي السعودي الانفكاك من خلفيته السلفية الدينية في تحليل الحدث السياسي، فهو إن لم يكن إسلامي النظرة والنزعة بواقع التربية والتنشئة، فهو إسلامي الواقع والمجتمع والمحيط، وينطبق هذا الحكم على المتلقي السعودي المتوسط، حيث إن من يملك أدوات النظر في الخطاب السلفي قد لا يكون قادرا على تحديه بصوت مسموع، ومن المعروف كيف يمكن لحالة تحدي السائد أو انتقاده أن تؤدي بمن يجرؤ على هذا الأمر. وحين جاءت الإنترنت السعودية فتحت المجال لكل الأصوات غير المسموعة لأن تكون أقوى، فما كان سائدا في مرحلة ماقبل الأنترنت أصبح أكثر سيادة وتغلغلا، وما كان مكتوما غير مسموع ولا معروف، أصبح متشكلا كخطاب له أدواته وحجاجاته.

تميزت مرحلة ويب 2.0 بالتفاعلية المستمرة بين المؤلف وبين المتلقي، وهي سمة موجودة في ويب 1.0 سوى أن تفاعلية أدوات ويب 2.0 أكثر سرعة وأكثر تداولا بفعل التمدد الأفقي للعملية الاتصالية وصغر حجم النص. وهو ما جعل الإثراء بسمته الريزومية يظهر بشكل أوضح في هذه المرحلة، فالفكرة ترتحل في هذا الفضاء وتنغرس وتنمو في أي بقعة وتحت أي معرف، وربما تتغير وتصطبغ بسمة جديدة في المكان المرتحل إليه .

في ويب2.0 أصبح المتلقي يواجه التيارات السياسية المتعددة في الفضاء العام السياسي السعودي وجها لوجه، وأصبح بإمكانه أن يلاحظ أن كل مؤلف- يوزر أصبح بإمكانه أن يشكل ريزوما تنبت من خلاله الأفكار وتتواصل فيه عملية الحوار بدلا من استزراع النصوص والأفكار. فاستمرارية عملية الحوار والسؤال هو بحد ذاته معنى وجود ويب 2.0 وهو الأساس الذي عليه قام الحراك العربي الشبابي، إذ إن عملية التماوج والتجدد المستمرة هي ميزة بقدر ما هي حقيقة الربيع العربي. (الحداد،2011)

أنتجت مرحلة ويب 2.0 وهامش الحرية الكبير الذي منحته لليوزر السعودي حركة فكرية شبابية الطابع، هي في حقيقتها حركة لطليعة من مثقفي الصحويين ، والذين تطوّرت أفكارهم عن مستوى (الخطاب) الذي توقفت عنده الصحوة، ودخلوا إلى مرحلة السؤال من داخل الخطاب نفسه. أي أنهم صحويون من داخل الخطاب تحولوا بفعل أدوات ويب 2.0 من متلقين إلى منتجين للسؤال، ومن ثمار وأوراق لشجرة الصحوة إلى ريزومات تملك أدوات التكاثر والحياة ، وتمارس البداوة والارتحال .

يطلق الصحويون الجدد على أنفسهم مصطلح التنويريين، فهم في واقع الأمر أبناء الصحوة الأمس، وهم وبسبب نموهم المستمر أصبحوا أكبر من ان تحصرهم الصحوة بمصطلحاتها التي يبدو أنها لم تتطور كثيرا، ولذلك أتخذ كثير منهم مسميات (صحفي \_إعلامي\_ مفكر\_ مثقف \_حقوقي\_ تنويري\_إصلاحي) وكلها محاولات للمناورة والالتفاف على الاصطلاحات الصحوية، خصوصا وأن أساس فكرة الخطاب الصحوي هو افتراض وجود حالة غفلة-جهالة عامة (في الثمانينات والتسعينات) وافتراض وجود حالة ارتداد وتعَلمن شاملة (في مرحلة ما بعد 11-9) ، وهو الأمر الذي يجعل الالتفاف على أسماء ودوال الخطاب الصحوي أمرا عسيرا، إذ لا يعني تطوّر المدلول عليه (المسمى) عن الاسم إلا ارتدادا، ولا يمكن المناورة على هذا الحكم بسهولة إلا عبر ابتكار أسماء ودوال لا تقل إشباعا عن الأسماء والدوال القديمة.

لعب هؤلاء التنويريون دورا هائلا في إدارة المشهد السياسي السعودي في فترة الثورات عبر أدوات ويب 2.0، فهم من جهة أمكنهم أن يكسبوا ثقة الشارع السعودي الغاضب من الأنظمة الحاكمة العربية (بسبب نظرته السلفية) ومن جهة أخرى أمكنهم تمرير فكرة البديل الإسلامي المتحضر (الذي تمثله تجربة حزب العدالة والتنمية التركي والتي حالفهم الحظ لأن تتزامن نجاحاته مع موجة الربيع العربي وإرهاصاته حول العالم العربي) ..

وهذه التجربة الإسلامية التي تتمحور حول فكرة المجتمع المدني ذي الطبيعة الديمقراطية والسلطات المفصولة والدستور الواضح المستمد من الشريعة الإسلامية بتعدد مذاهبها، هي تجربة لا تشبه بشيء التجربة الطالبانية وتجربة النظام السوداني وغيرها من تجارب الإسلام السياسي التي خيبت ظنون المتلقين المسلمين حول العالم.

يمكن ضرب أمثلة على أشهر الأسماء التنويرية التي كانت في قلب الحدث من الأستاذ نواف القديمي، وهو يعرف عن نفسه دائما بوصفه صحفيا –إعلاميا، له مؤلف بلغة شبابية يدور حول سؤالات الديمقراطية والسلفية (أشواق الديمقراطية) ومشاركات كبيرة في التأصيل للفكرة الديمقراطية من المصادر الإسلامية التي يستند عليها الأصوليون . كان الأستاذ نواف القديمي في قلب ميدان التحرير في يناير 2011 ، وقد عمل حسابه في فيسبوك وتويتر على امتداد شهر كامل على تغطية ونشر ما كان يجري داخل الميدان. وهو الأمر الذي جعل عبد العزيز الخميس رئيس تحرير مجلة المجلة الأسبق يلقّب القديمي على تويتر بـ(روبرت فيسيك العرب) ، إذ كان القديمي يمارس المراسلة الصحفية باحتراف ليس فقط بتغطية الخبر وإنما بتحليله سياسيا في وقته وعبر صفحته في فيسبوك،

أما الأستاذ عبد الله المالكي فقد كانت سنة 2011 بالنسبة له مصدر إثراء لفكرته ومطالباته الحقوقية الإصلاحية ، إذ كانت الثورة التونسية ورومانسية صورها وسلميتها ملهما لأحلامه بثورة سلمية مشابهة، وإن اختلفت المطالب بطبيعة الحال . وعبد الله المالكي بصفته باحثا في الفلسفة الإسلامية وجد في الفضاء الثوري مجالا ليطلق عددا من المقالات القوية ذات الطابع النقدي الذي يتساءل عن مسؤولية سلفية الفكر الديني السعودي عن تخلَف المشهد السياسي السعودي على مستوى المتلقي والمشاركة السياسية، كما يعزو تخلف الأمة إلى سوء إدارة السلفي لمفاهيم كبرى في عالم الإسلامية مثل الحاكمية والشريعة والعلمانية ، وكان أن نشر قبل أسابيع قليلة مقالته عن تقدم سيادة الأمة على تطبيق الشريعة، ولاقت مقالته كما هو متوقع جدا استنكارا واسعا من قبل الصحويين إذ اعتبرها بعض التنويرين أنفسهم (مثل الدكتور محمد العبد الكريم) تقليلا من شأن تطبيق الشريعة في الخطاب الإسلامي. (المسيند،2011)

الشيء الملحوظ في ربيع العرب 2011 هو النشاط الهائل في إعلام السعوديين الجديد لتغطية ومتابعة ما يحدث حول المملكة، بالإضافة إلى التساؤلات الحذرة من قبل أطياف متعددة في المملكة عن مستقبل الفضاء العام السعودي والسياسة السعودية في ظل الثورات، والتساؤلات الأكثر إلحاحا حول إمكانية أو عدم إمكانية انتشار تأثير الثورات في الخريطة السياسية للخليج عامة والمملكة العربية السعودية خاصة.

**ثورة حنين، المرأة السعودية وعدوى الربيع العربي:**

لعل الملمح الأكثر وضوحا في 2011 هو امتداد موجة الثورات والغضب الشعبي لتشمل كل الشعوب العربية بالتدريج من نقطة التحريض الفردي –حادثة محمد بو عزيزي وحوادث مشابهة لها في مصر وليبيا\_ إلى موجة الغضب الجماعي، وهو الشكل الذي بدت عليه الثورات المتوالية بعد ثورة الياسمين، ابتداء من مصر، ومرورا بليبيا، وانتهاء بسوريا واليمن. ولم يكن المتلقي السعودي استثناء من هذا التأثير، فالمتلقي السعودي هو من أوائل من استخدم أدوات الإعلام الجديد، وهو من أوائل من وظفها للالتفاف على قيود الرقابة ومن أوائل من استخدمها للالتفاف على تهميشه في مسألة المشاركة في صناعة القرار، ومن أوائل من استخدمها للالتفاف على السائد وتحديه. ولعل موضوع المرأة السعودية يكون من أكثر المواضيع حساسية وإمساسا بالوتر الأكثر حساسية في العقل الجمعي السعودي، حيث تعتبر السعودية ورغم كل الجهود المبذولة على مر التاريخ لإدماج المرأة في الفضاء العام، بلدا ذا ثقافة ذكورية متضخمة واضحة المعالم ابتداء من الأنظمة الحكومية وفي التقاليد المجتمعية، وتمتد هذه المعالم لتصل إلى اللغة الحذرة المستخدمة في الحديث عن الأنثى والمرأة. (عقيل، 2010)

لكن المفاجأة التي أتت بها 2011 وعبر أدوات الإعلام الجديد، أن أحد أكثر الفئات تهميشا وأقلها حضورا في مشهد صناعة الرأي العام وهي (المرأة) هي من قادت ثورة نوعية انتقلت من العالم الافتراضي (حملة سأقود سيارتي بنفسي في 16 يونيو) إلى العالم الحقيقي.

أما ما سواها من المحاولات لنقل الغضب الجماهيري الموجود في العالم الافتراضي إلى العالم الحقيقي، فلم تتكلل أي منها بالفاعلية وأجهضت في لحظتها أدبيا (عبر الوصم) وتنظيميا (عبر المراقبة والاستنفار الأمني)، وأنا أتحدث هنا بالتحديد عما سمي بـ(ثورة حنين)، والتي حدد موعد الخروج لها في 21 من مارس، وتم التعبئة لها في أدوات الإعلام الجديد (فيسبوك وتويتر ويوتيوب) بشكل لم يسبق له مثيل في تلك الفترة، إلا أن المحصلة كانت غيابا تاما وانقطاعا ما بين الخطاب البالغ الغضب الموجود في العالم الافتراضي، والهدوء والغياب المستمر لذلك الغضب المفترض في العالم الحقيقي.

والحقيقة أن ما تلا خطة ثورة حنين من قرارات ملكية\* وإصلاحات ووعود شاملة، بالإضافة إلى الخطاب الملكي الكريم الذي تلا ثورة حنين مثنيا على ما سمي بـ(الولاء للوطن) ، كلها عوامل عادت على المواطن السعودي بنوع جديد من الفهم للسياسة، مختلف تماما عن الفهم الذي تبلور بعد متابعة نجاح ثورتي تونس ومصر السلميتين، لدرجة أنه يمكن وصفه بأنه انقطاع في البارادايم (أو النمط) المعرفي الذي كان مفترضا أن يتجه إليه الفضاء العام السعودي بعدما شهد تجربة الثورات السلمية رأي العين.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

\*صدرت حزمة من القرارات الملكية في اليوم التالي لـ21 مارس بخصوص إهداء راتبين ووعود بحل مشاكل العاطلين بالإضافة إلى وعود بمكافحة الفساد . للاستزادة راجع رابط الخبر في جريدة الرياض.

فقد انقسمت الرؤى حول القرارات الملكية، مابين معتبر أنها ضربة استباقية من الحكومة السعودية وإعلامها الرسمي لقطع السبيل على محاولات الحراك السلمي، وما بين معتبر أنها استجابة خجولة بطريقة موناركية-ملكية صرفة للمطالبات التي دارت عليها خطة ثورة حنين. (الظفيري، 2011)

ولأن تلك الاستجابة كانت ضخمة ومكلفة وتتضمن ضخ مزيد من الأموال في الميزانية العامة وفي قطاع الخدمات والإسكان وحل مشكلة البطالة، فقد تلا تلك القرارات فترة بالغة النشاط من كثافة المحتوى الإخباري سواء على مستوى الصحافة الرسمية أو مستوى الصحافة الإلكترونية الحرة أو صحافة ويب 2.0 . كان هذا المحتوى الإخباري الكثيف قد جعل الفضاء العام السعودي يتحوّل من الركود وسيادة الخطابات الشبابية ذات النبرة اليائسة والعدمية أحيانا، إلى سيادة نبرة شبابية فاعلة ومبادرة وفخورة بالولاء للنظام الحاكم بصيغته الحالية، أي أن ما حصلنا عليه بفضل الربيع العربي وانعكاسه على الفضاء العام السعودي كان (حراكا) في الوعي العام يمكن اعتباره نقلة في فترته رغم قصرها.

وعودا على بدء، فالخطاب النسوي السعودي ورغم أنه بدا لزمن طويل غير واضح المعالم نتيجة لعدم وضوح صوت المرأة السعودية من الأساس ونتيجة لكل العوامل الظرفية التي ولد فيها الحراك النسوي السعودي على امتداد التاريخ الحديث، إلا أن مرحلتي ويب 1.0 و ويب2.0 كانتا قد أحدثتا نقلة نوعية في قضية المرأة السعودية ، وآذنتا بنضج ملحوظ للخطاب النسوي السعودي.

المفاجأة التي أتى بها الربيع العربي للمجتمع السعودي هو تلك الجرأة العارمة التي جعلت مجموعة من النساء ينقلن غضبهن وإحباطاتهن في ثلاث مشاهد منفصلة مختلفة الدوافع:

فالمظاهرة الأولى قامت بها زوجات سجناء لم تتم محاكمتهم أمام وزارة الداخلية ، وتجلّت صعوبة هذا الظهور النسوي في كونه ظهورا حرجا أمام عدد من العوامل التي يكفي واحد منها لإفشال أي حراك نسوي:

1) مجتمع متحفظ أمام مشاركة المرأة في الرأي العام فضلا عن قيامها بدور المبادرة في أمر لم يقم به الرجال من قبل، ناهيك عن الظهور في مقاطع فيديو تحت مسمى (مظاهرة).

2)أمام المؤسسة الأمنية الأقوى في الحكومة السعودية والأكثر شهرة في إيقاف ما هو أقل من هذا الحراك، إذ لا تتساهل وزارة الداخلية السعودية ولا تقلل من شأن أي حراك من شأنه أن يدخل تحت مظلة (زعزعة الأمن) .

ما حصل من التعامل المتحفظ مع المتظاهرات ووعدهن بحل مشكلتهن والتعهد عليهن –بوجود أولياء أمورهن \_ بعدم تكرار هذا الأمر، لم يمنع هذا التعامل الناعم مع المتظاهرات حركة أخرى كانت أقوى وأعلى صوتا من الأولى، وهي وقفة معلمات محو الأمية الأكثر صخبا أمام وزارة الخدمة المدنية والتي قامت بتغطيتها الصحافة الإلكترونية (صحيفة الوئام ) بالصوت والصورة ، والتي جعلت الكثير من المعلقين يجمعون على أن المرأة كانت أشجع وأكثر قدرة على المبادرة فيما يتعلق بالحراك، بالإضافة إلى كونها أكثر تحديدا ووضوحا في مطالبها.

أما المشهد الثالث ، وهي مجموعة سأقود سيارتي بنفسي في 15 يونيو، فقد كان هو المشهد الأكثر إشكالية من أوجه عدة، فالمطالبة كانت تجديدا لذكرى المظاهرة الأولى عام 1990، بالإضافة إلى كونها تتزامن فعليا مع الربيع العربي ، ولكون المطالبات فيها سيدات من الفئات الأكثر تعليما وتمكينا في المجتمع، ناهيك عن أن الدعوة تحمل في ثناياها وضوحا في لهجة التذمر من موضوع ولي الأمر ووجود الرجل في حياة المرأة السعودية نظاميا. وهو الأمر الذي جعل أعضاء سعوديين في فيسبوك يظهرون تطرفا ذكوريا غير مسبوق بالتهديد باستخدام العنف ضد قائدات السيارة، وتجلت ذكورية هذه الحملة بكون اسم أداة العنف جزءا من زي الرجل السعودي (العقال) كترميز صارخ لعقيدة سيطرة الرجل وقدرته المطلقة على إدارة المجتمع الحقيقي منه والافتراضي.

هذه المشاهد الثلاثة ورغم تزامنها مع الربيع العربي، إلا أن واحدة منها لم تعلن عن نفسها كثورة أو حتى مظاهرة، ولكن التسمية جاءت أنها (مطالبة) وهو الأمر الذي يوضح مدى أهمية المصطلح وطبيعة اللغة المستخدمة في وعي المتلقي السعودي. فالمتلقي السعودي لم يستوعب أن يكون هو نفسه متظاهرا أو مطالبا، فضلا عن أن يتقبل أن تقوم أحد أكثر الفئات تعرضا للتمييز بمبادرة أولى في تاريخ الوعي السياسي –الاجتماعي السعودي

لم يخلُ أمر المشاهد النسوية الثلاث بطبيعة الحال من إثارة الجدل المعتاد والمكرور حول ظهور المرأة ، وحول ظروف وأدبيات كل مشهد ، ولكن الملاحظ في كل المشاهد النسوية الثلاث أنها كانت نسوية خالصة، وأن المتلقي الرجل قام بدور المتفرّج والمعلّق ، ولم يؤد أحد من هذه المشاهد النسوية الثلاث إلى أي نتائج ولم يترتب عليها أي مشاهد شعبية أخرى.

**اتجاهات المتلقي السعودي في تناول الربيع العربي:**

يفضل الكثيرون من المحللين الرسميين وكتاب الأعمدة تجاهل الاتجاهات الفكرية التي ظهرت تسمياتها مع ظهور الإنترنت السعودية، حيث يفضل الكثير منهم التقليل من شأن التسمية –المصطلح ، والإصرار على أن التسمية انتزعت من سياقها ووضعت في سياق غير متطابق معها أبدا، ومصطلح (ليبرالي) و (علماني) هما خير مثال على هذه الحالة من التحليل الفكري في الوسائط السعودية. كما يفضّل كثيرون من المثقفين والناشطين في الإعلام الرسمي أو الإلكتروني الالتفاف على هذه التسميات عندما تطلق عليهم، ذلك أن إطلاقها على كاتب أو مثقف أو مبدأ أو حملة هو حالة أقرب إلى (الوصم) منها إلى (الوصف).

على أن تجاهل الصحافة الرسمية لهذه التسميات يناقض تماما شدة استخدامها وتداولها في الفضاء الافتراضي السعودي، فلا توجد كلمات أكثر تداولا في أي حوار سياسي من هذه التسميات، والأهم من ذلك أنها تطوّر لتصبح دالّة على قوالب معرفية محددة، وفي بعض الحالات المتطرفة، تتطوّر هذه المسميات ليدل بعضها على بعض ولتتكون لدينا سلاسل دلالية من التسميات الواصمة، والمثير هو أنها فعليا أصبحت تدل على اتجاه محدد في التحليل الفكري والسياسي.

أي أن هؤلاء المتحدثين ، سواء أطلقوا على أنفسهم مسمى (ناشط\_ إصلاحي\_ حقوقي) أو غيرها من المسميات، أصبحت تتضح لديهم سمات مشتركة ورؤى متشابهة ، لدرجة أنه يمكن اعتبارهم تيارا أو على الأقل اتجاها في الرؤية وتحليل الموقف السياسي بناء على منطلقات مشتركة. ودعوني هنا أستعِر نفس المسميات التي يتم تداولها في عالم الويب 2.0 لهؤلاء المتحدثين من أجل أن أوجز اتجاهات المتلقي السعودي في تناول الربيع العربي: المتدينون ( ويطلق عليهم الإسلاميون ويتشكلون من تيار الصحوة والتيار السلفي على وجود خلافات داخلية جذرية منهجية داخل هذا التيار) – وغير المتدينين (ويطلق عليهم الليبراليون)\_ بالإضافة إلى الاتجاه المنبثق عن التيار الصحوي والذي يطلق على نفسه التيار التنويري. والذي أعلن عن نفسه رسميا بإطلاق مجلة (رؤية) التي أسسها وأطلقها الناشط إبراهيم النوفل، ودارت موضوعات هذا التيار حول فكرة إعادة قراءة وتوليد الفكر الإسلامي عبر أدوات فكرية متعددة، وهو الأمر الذي سيؤدي حتميا إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي والوصول إلى أهداف العدالة والتنمية.

وبين هؤلاء الثلاثة كانت هناك نقاط مشتركة فيما يتعلق بالربيع العربي، إذ جمعتهم جميعا فكرة ضرورة إسقاط الأنظمة العربية، لكنهم يختلفون في تحليل أسباب الثورة ومطالبها ومن ثم مفهوم الدولة الذي يجب أن يترتب على رحيل الأنظمة السابقة.

فالإسلاميون يرون أن الشعوب ثارت من أجل إعادة الإسلام إلى الحياة، ومن ضمن إعادة الإسلام إعادة العدالة الاجتماعية والحريات الدينية، ويمثل هذا التيار كتابات الشيخ سلمان العودة وخصوصا مقالته الجريئة (أطعموا شعوبكم قبل أن تأكلكم) والذي نشره على موقعه الرسمي (الإسلام اليوم) إذ جاء هذا المقال محملا بالكثير من التعاطف مع الثورة في جانب أسبابها الاقتصادية، وهو الطرح الذي بدا جديدا بالنسبة للإسلاميين الكلاسيكيين (الصحويين) إذ مازالت الأطروحات الصحوية حافلة بالكثير من النزعة العقدية-الطائفية، وكثير من عناصر مرحلة التسعينات والثمانينات في التحليل السياسي، بل إنه من المثير للاهتمام وجود رؤى سلفية فردية تعتقد أن شرعية الثورة جاءت بسبب أنها اندلعت أصلا من أجل المطالبة بتحكيم الشريعة.

أما الليبراليون فقد جاءت ردة فعلهم مختلفة عما كانت عليه نبرة التذمر من تخلف الوطن العربي وضرورة إعادة إنشائه من العدم فيما يتعلق بالتنمية والفكر، والمفارقة أن الليبراليين ورغم حماسهم الكبير للربيع العربي، إلا أن التخوّف والنظرة السوداوية من صعود التيار الإسلامي كانت هي أبرز نقطة في حواراتهم.

وبالنسبة للتنويريين فقد كانوا أسعد السعوديين وأنشطهم في الفيسبوك والتويتر فترة اندلاع الربيع العربي، إذ كانت هذه الفئة الأقدر على تحليل الأحداث من منظور وسط بين بعد الحداثي والسلفي بوصفها فئة وسيطة Counter Postmodern-Salafist

إذ كانت إحباطاتها تمثل إحباطات التيارات جميعا، فإحباطات الإسلامي من تجاهل الشريعة والحريات الدينية موجودة لدى التنويري، كما إن توقعات التنويري في أن تكون الديمقراطية هي الفضاء الأمثل لتطبيق الشريعة (كما هو شعار عبد الله المالكي أحد منظري هذا التيار) تماثل ما يردده الليبرالي ويحلم به دائما.

وهكذا دارت الثورة على الطاولة السعودية من خلال الشاشات وحسابات فيسبوك وتويتر الناشطة التي كانت تراقب الأحداث من خلال قناة الجزيرة وتكثّف تدفق المعلومات والصور والمقاطع .

**ربيع السعوديين:**

لم يأتٍ الربيع العربي بعوائد اقتصادية على الاقتصاد السعودي فحسب، بل كانت بركاته قد امتدت لتصل إلى ازدهار لا يمكن تجاهله في الوعي السياسي لدى المتلقي السعودي بكافة فئاته.

فالحديث عن الفساد وانتقاده بجرأة واضحة أصبح علامة جديدة في الصحافة السعودية الرسمي منها والإلكتروني والجديد، كما كانت القرارات الجديدة في منح المرأة حق التصويت والمشاركة في الانتخابات البلدية ومجلس الشورى علامة جديدة على تحولات سياسية جذرية تاريخية على مستوى القفزات عند صانع القرار. والأكثر منه هو تصريحات كثير من المسؤولين بقرب حدوث تغييرات سياسية في العاجل القريب كما صرّح بذلك الأمير مقرن بن عبد العزيز ، وهو الأمر الذي عده الباحث مهنا الحبيل علامة على انتعاش لوعي جديد عند صانع القرار من جهة وعند المواطن السعودي من جهة أخرى (الحبيل، 2011).

نتمنى أن تكون هذه السنة التي انصرمت كما لو كانت أطول سنة منذ عقود، أن تكون تمهيدا لحقبة عربية جديدة يكون رمزها الديمقراطية واحترام الحريات. إن فوز التيارات الإسلامية بكثير من الحقائب الوزارية في كل من مصر وتونس ووعد المجلس الانتقالي الليبي بتحكيم الشريعة، سيكون دلالة مبشرة لما أثر به تطور الوعي السياسي لدى المواطن العربي، إذ لم يعد هناك مكان للإقصائية والكلاسيكية ، وأصبح الزمن والمكان متسعا بشكل كاف للمنافسة الاقتصادية والاجتماعية بالإضافة إلى التسامح السياسي لأول مرة منذ عقود طويلة من القمع.

وقد أكون هنا متفائلة بشكل كبير، كما يمكنني أن أكون متشائمة بعض الشيء أمام كثير من الاعتبارات والحقائق التي تظهر هنا وهناك، لكن الأيام القادمة والشهور المقبلة بإذن الله ستتحدث عن نفسها، ونتمنى أن يكون لنا في فضائنا العام السعودي ازدهار مماثل يظهر على صناعة الوعي الفردي والجمعي، وينعكس بإذن الله على صناعة القرار وسير الأمور ، هو ولي ذلك والقادر عليه

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الرياض-21 محرم 1433- 15 ديسمبر 2011

بدرية العبد الرحمن العبيد

معيدة-قسم الإعلام –جامعة الملك سعود

دبلوم عالي صحافة ومجتمع-جامعة شرق لندن

**المراجع العربية مرتبة حسب الترتيب الأبجدي:**

1. إنترنت السعودية، 2011، الإنترنت في المملكة العربية السعودية، إحصائية متوفرة على هذا الرابط:

[**http://www.internet.gov.sa/learn-the-web-ar/guides-ar/internet-in-saudi-arabia-ar**](http://www.internet.gov.sa/learn-the-web-ar/guides-ar/internet-in-saudi-arabia-ar)

1. الحازمي، فهد، 2011، "من جنبها، سعوديون يتحدثون عن الثورة المصرية" مقالة نشرت في مدونة الكاتب، متوفرة على هذا الرابط:

[**http://www.som1.net/?p=2966**](http://www.som1.net/?p=2966)

1. الحبيل، مهنا، 2011، "الأمل في تصريح الأمير مقرن" مقالة ، نشرت في اليوم السعودية، متوفرة على هذا الرابط:

<http://www.alyaum.com/News/art/37819.html>

1. الحداد، محمد، 2011، "الإسلام السياسي في تونس بعد ثورة الياسمين" فصل نشر في كتاب (من قبضة بن علي إلى ثورة الياسمين)، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى.
2. الخازم، محمد ، 2010، " اختراق البرج العاجي، دراسة التحولات الجيوسياسية والتأثير الأيديولوجي في بنية وسياسة التعليم العالي السعودي" ، دار طوى للنشر ، الطبعة الأولى.
3. المشوح، خالد، 2011، "التيارات الدينية في السعودية" ، صدر عن دار الانتشار العربي، الطبعة الأولى.
4. الظفيري، علي، 2011، "السعودية وربيع العرب" ، مقالة نشرت في صحيفة المقال الإلكترونية، متوفر على هذا الرابط

<http://www.almqaal.com/?p=369>

1. المحمود، علي، 2011، "المتطرفون والمرأة، أزمة التأويل ومأزق التهويل"، مقالة نشرت في الرياض السعودية، متوفرة على هذا الرابط:

<http://www.alriyadh.com/2011/10/20/article677282.html>

1. المالكي، عبد الله، 2011، " سيادة الأمة قبل تطبيق الشريعة" / مقالة نشرت في صحيفة المقال الإلكترونية، متوفر على هذا الرابط:

<http://www.almqaal.com/?p=922>

1. المسيند ، أحمد، "اصطفاف في التيار الإسلامي حول تطبيق الشريعة وسيادة الأمة"، خبر نشر في صحيفة الشرق السعودية، على هذا الرابط:

<http://www.alsharq.net.sa/2011/11/16/13249>

1. عقيل، مها، 2010 "المرأة السعودية في الإعلام، دراسة حول التجارب والتأثير"، صادر عن الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى.

**المراجع الإنجليزية:**

1. Baudrillard, Jean, 2002, *" the Spirit of Terrorism: the Requiem for the Twin Towers* "

Published by Verso , first translated edition

2. Calcutt, Andrew, 1999, " *White Noise: an A-Z contradictions in cyber culture."*

Published by St. Martin's Press, New York.

3.Deleuze, Jeal & Guattari, Flex, 1987," *a Thousand Plateaus: Capitalism and schizophrenia* "

2004 Edition by Antony Rowe, Wiltshire, UK

4. Gray, John, 2003, "*Alqaida and What it Means to be a Modern.* "

Published by Faber & Faber, UK.

5. Rusten, Sussana, 2011, "Wadah Khanfar: Be patient with Arab world "

Report for the Guardian , available here:

<http://www.guardian.co.uk/theguardian/2011/oct/15/wadah-khanfar-al-jazeera-arab-spring>

6.Said, Edward, 1996, " Covering Islam: How the media and the experts Determine how we see the rest of the world" .

Published by Random House, New York.

\*\*\*

**سيرة ذاتية**

**معلومات شخصية:**

**اسمي بدرية بنت عبد العزيز بن عبد الرحمن العبيد.. من مواليد الرياض عام 1978م. سعودية الجنسية.**

**الشهادات العلمية:**

* **بكالوريوس في دراسات اللغة العربية عام 2002 بدرجة امتياز ومعدل تراكمي 4.92 من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.**
* **شهادة الدبلوم العالي في الصحافة والمجتمع من كلية الدراسات الإعلامية والاجتماعية في جامعة شرق لندن في أكتوبر من عام 2009**
* **أجيد اللغة الإنجليزية تحدّثاً وكتابة وقد حصلت على الشهادة الأولية لاختبار كامبريدج للقدرات اللغوية الإنجليزية FCE من المملكة المتحدة في مارس من عام 2007، إضافة إلى حصولي على (6.5) في اختبار IELTS للقدرات اللغوية الانجليزية في مايو عام 2007**

**البحوث والكتب:**

* **(مدائن الرماد) رواية خيال علمي (للناشئة) صدرت باللغة العربية عن دار العبيكان عام 2004 ، وطبعت للمرة الثانية عام 2010.**
* **(أوجاع الدمي)، مجموعة قصصية صدرت عن دار وهج الحياة عام 2010.**
* **(الأقدام الملونة)، رواية (للناشئة) برعاية مركز الحوار الوطني ضمن مشروع (جسور) الثقافي، صدرت عام 2011.**
* **(خطواتي الواثقة)، دليلك إلى عالم الدراسة الأكاديمية، كتاب إرشادي برعاية موقع استبيان الإلكتروني .**
* **(حاجة غلط)، مجموعة مقالات في الشأن الاجتماعي،**

**مجموعة أبحاث أكاديمية وأعمال إبداعية (غير منشورة) :**

* **دراسة نقدية لديوان (الطفل والجبل) لفدوى طوقان (شاعرة فلسطينية معاصرة).**
* **دراسة معجمية مقارنة بين معجمي الصحاح للجوهري والقاموس المحيط للفيروزبادي.**
* **مفهوم الحرية والالتزام في العمل الأدبي (دراسة نقدية )..**
* **دراسة لغوية قرآنية لسورة المعارج ..**
* **ماذا تعني الصحافة في عصر ما بعد الحداثة \_ ورقة عمل أكاديمية على الحالة الصحفية في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية).**
* **الصحافة اليوم \_ ورقة عمل أكاديمية على تطوّر الصحافة السعودية بعد عصر الإنترنت (باللغة الإنجليزية)**
* **إشكالية الهوية والمواطنة في التلفزيونات الإسلامية البريطانية بعد 11-9 الجذور والوعي المضاعف. أطروحة (باللغة الإنجليزية).**
* **الشمس، رواية خيال علمي (للناشئة)، تحت العمل.**
* **(الخدوش) رواية من جزئين (لم تنشر).**
* **(خلف الستارة) رواية (للناشئة) باللغة الإنجليزية (تحت العمل).**
* **كن سالما، مجموعة قصصية للأطفال تحت رعاية جمعية الهلال الأحمر السعودي وتحت إشراف دار أسفار لكتب الأطفال، تحت العمل.**
* **الربيع العربي وانعكاساته على المتلقي السعودي، ورقة عمل سأتقدم بها للمؤتمر السعودي السادس الذي تعقده الجمعية السعودية للإعلام والاتصال في فبراير من العام المقبل بإذن الله.**

**الخبرات والمهارات:**

* **معلّمة للغة العربية في مدارس الرياض الأهلية 2003-2004**
* **سكرتيرة تحرير في مجلة (بث) التابعة لمؤسسة المجد الإعلامية 2004-2005**
* **كاتبة منتظمة في جريدة اليوم اليومية في الفترة بين 2005 و2007.**
* **كاتبة غير منتظمة في موقع الإسلام اليوم منذ عام 2006.**
* **أخصائية علاقات إعلامية في الشؤون الصحية بالحرس الوطني من عام 2010 وحتى مايو 2011.**
* **معيدة في قسم الإعلام بجامعة الملك سعود منذ شهر مايو عام 2011.**
* **مشاركة غير منتظمة في أنشطة ثقافية بمكتبة الملك عبد العزيز العامة في الرياض (ندوات ومعارض كتاب وأسابيع ثقافية).**
* **حضور ومشاركة في ندوات ثقافية وفكرية ومؤتمرات في المملكة المتحدة، حيث حضرت مؤتمر مستقبل الإعلام العربي الذي نظّمته CAMMRO جمعية دراسات الإعلام العربي والإسلامي في كلية كنغ كوليج في شهر مايو في عام 2008. كما حضرت مؤتمر الإسلام السياسي الذي نظّمته شبكة الجزيرة في شهر يوليو عام 2008. وأخيرا حضرت مؤتمر الاقتصاد الإسلامي وأزمة الرهن العقاري الذي نظمته مؤسسة Global Vision2000 في ديسمبر من عام 2008. إضافة إلى حضوري ومشاركتي في نقاشات جامعية طلاّبية ومحاضرات ومؤتمرات مفتوحة في عدد من المناسبات في جامعة شرق لندن.**
* **التعاون مع دار أسفار لكتب الأطفال في تحرير وتدقيق عدد من الكتب التي طبعت أو مازالت تحت العمل، وذلك مع عدد من المؤلفات والرسامات.**